

قيمة التنوع اللغوي وكيفية استثماره في زمن العولمة

الأستاذ الدكتور عبد القادر تومي الدكتور طراد عوض حسن الزهراني
المدرسة العليا للأساتذة – الجزائر وزارة التعليم العالي السعودية

الملخص:

يعالج هذا المقال موضوع التنوع اللغوي باعتباره الدليل عن الاختلاف الطبيعي بين الناس في ألسنتهم وكلامهم. وباعتباره التراث المشترك بين البشرية وهو ضروري للتجمع البشري ضرورة التنوع البيولوجي للكائنات البشرية، وهو أفضل ضمان للسلام، ومعه تتجدد القناعة الرافضة لمقولة حتمية النزاع بين الحضارات، لذلك لابد من صيانة هذا التنوع والدفاع عنه كما تجليه رسالة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وإذا كان هذا التنوع يغني الحياة ويثريها ويجعل اللغات تتكامل فيما بينها، ينبغي احترام هذا التعدد والافتخار به وتقدير اللغات تقدير للشعوب الناطقة بها. ولا يحق للعولمة أن تسحق اللغات الضعيفة تحت حجج وذرائع مختلفة.

الكلمات المفتاحية: التنوع اللغوي، الاختلاف، العولمة، الصراع الحضاري، اللغة العربية، الانفتاح الحضاري

Abstrat:

This article tries to analyses the subject of linguistic diversity as a natural variation between people in their tongues

Linguistic diversity as the common heritage for the humanity is essential for human Assembly like the biodiversity to human beings, because it is the best guarantee of peace, and with renewed conviction that rejects the inevitability of conflict among civilizations, so it must maintain this diversity and defend it as advertising message of The Universal Declaration of human rights. And if this diversity enriches life, should respect this diversity, and respect language means respect peoples .IN this case Globalization mustn't crush the weak languages under different pretexts and arguments.

Keywords: linguistic diversity, difference, globalization, cultural conflict, Arabic language, cultural openness

يعتبر التنوع اللغوي سنة من سنن الكون لأن الحياة أساسها التنوع و التعدد، حيث ورد في القرآن الكريم قول الله تعالى: "و من آياته خلق السماوات و الأرض واختلاف ألسنتكم و ألوانكم"¹ و اختلاف الألسن يعني تعدد القوميات و اختلاف الألوان يعني تعدد الأجناس البشرية و هذا ينجر عنه اختلافات أخرى في أنماط المعيشة، إذ يقول الله عز و جل أيضا: "لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة و لكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات"². إن تعدد الشرائع و الأديان الوارد في هذه الآية يؤدي إلى التعدد الحضاري على أساس أن الحضارة تنشأ بفعل الفكرة الدينية و إذا تعددت الحضارات فإن الثقافات تتعدد و تتنوع من هنا نخلص إلى القول: "إنه إذا كان التعدد اللغوي سنة الله في خلقه فإن الذي يحاول فرض ثقافة او لغة واحدة على الآخرين بالقوة يتصادم مع سنة الله في الكون و يهدد هذا الوجود.

هناك رؤية صائبة تعزز هذا التنوع و ترى فيه أهمية كبرى حيث يغني التراث الإنساني بفضل مساهمة جميع الأجناس في صناعة التراث العالمي.

و الإسلام كدين سماوي يتضمن اعترافا باختلاف الناس و يحترمهم في لغاتهم و عاداتهم و أديانهم كما قال تعالى: "لا إكراه في الدين"³ لأن الله هو الذي خلق هذا الاختلاف و التمايز و لكن دعاهم إلى التعارف و التعاون على ما فيه خير الإنسان و الالتقاء في دائرة "العالمين" من خلال احترام كل الهويات الثقافية.

الانفتاح اللغوي ضرورة حضارية:

إن التنوع اللغوي باعتباره التراث المشترك للإنسانية ضروري للتجمع البشري ضرورة التنوع البيولوجي للكائنات البشرية ، لأنه أفضل ضمان للسلام ، و معه تتجدد القناعة الرافضة لمقولة حتمية النزاع بين الحضارات، لذلك لابد من صيانة هذا التنوع و الدفاع عنه كما تجليه رسالة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

قال المهدي المنجرة عن أطروحته الحرب الحضارية⁴ مخالفا لفكرة هانتغتون القائلة بصدام الحضارات "يعتبر هانتغتون أن البذرة الوراثية موجودة في الحضارات وفي

¹ - الروم 22.

² - المائدة 48 .

³ - البقرة 256

⁴ استخدم هذا المصطلح من طرفه يوم 15-2-1991 في حوار له مع المجلة الألمانية دير شبيغلر، وهو ما يعني انه سبق هانتغتون في الحديث عن الموضوع رغم اختلاف أطروحتيهما.

نظري ليس ثمة ثقافة تولد أصلا عدوانية أو لتصارع حضارة أخرى¹ وهذا النص وان كان يتضمن رفضا للصراع الحضاري كما بينه هانتغتون فان المنجرة يقول بفكرة الحرب الحضارية التي أعلنها القوى الغربية على مخالفهم في حضارتهم.

كيف يمكن المحافظة على التنوع الثقافي واللغوي؟

تعتبر التعددية الثقافية ثروة كبيرة في يد الشعوب يجب المحافظة عليها ، وقد أشارت منظمة اليونسكو إلى ضرورة المحافظة عليها حيث نصت المادة الأولى من الإعلان الصادر عنها في 1966/11/3 على أن لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما ، و من حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته.² ونظرا لخطورة اختلال التوازنات الثقافية عندما تضعف اللغات و الثقافات أو تمارس عليها الهيمنة المذبذبة لها ، فإن مختلف المنظمات الثقافية حذرت من اختفاء ثقافة من الثقافات العريقة. وهذا بطرس غالي أمين عام للمنظمة الفرانكفونية يقول متحدثا عن أهمية التعددية الثقافية : "هدفنا الدفاع عن التعددية الثقافية ، التعددية اللغوية، فلو سيطرت لغة واحدة على المجتمع الدولي فإن ذلك سيؤدي إلى إضعاف اللغات الأخرى ، وهذا خطأ كبير و خطير. فاللغات هي في رأي بمثابة التراث الإنساني، و ثراء المجتمع الدولي قائم على تلك التعددية و كما أن هناك منظمات دولية أنشئت للدفاع عن البيئة وعن بعض النباتات و بعض الحيوانات ، يجب أيضا الدفاع عن الحضارات وعن الثقافة وعن التعددية الحضارية".³ فعلا فإن التنوع اللغوي مصدر ثمين من مصادر قوة الإنسانية لذلك ينبغي المحافظة عليه.

لكن التحدي الحقيقي الذي يواجه الشعوب في سيادتها الثقافية او اللغوية، هو أن بعض الثقافات القوية، استطاعت التأثير في متلقيها (الثقافة الاستعمارية) وبالمقابل اندثار بعض الثقافات او اللغات الضعيفة و الجامعة (التي لا تقدم إنتاجا)، وهذا ما يشكل خطرا على التنوع الثقافي او اللغوي ، وفي هذا المجال يقول أحد الكتاب "إن الإنتاج الثقافي و احتكار الرموز والقيم هما أبرز ما يطبع النظام العالمي الزاهن على مستوى إنتاج و توزيع الثقافة. ولقد انتقل النظام الرأسمالي في هذه المرحلة من طور تعميم القيم

¹ - المهدي المنجرة، "الاهانة في عهد امبريالية"، الطبعة الأولى، 2004، مطبعة النجاح المغرب، ص: 27، 28

² - باسم على خريسان، "العولمة والتحدي الثقافي"، ص: 140

³ - بطرس غالي، "هدف الفرانكفونية الدفاع عن التعددية الثقافية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 133 ، سنة 1998، ص: 154 .

الاقتصادية والعلاقات الإنتاجية الرأسمالية ومن طور الأنظمة الاقتصادية الليبرالية إلى طور تعميم القيم الثقافية للمجتمع الغربي، بوصفه (أي التعميم) آلية من آليات إعادة إنتاج هيمنة النظام الرأسمالي على الصعيد العالمي.¹ ولقد استفاد النظام الرأسمالي جيداً من الثورة الإعلامية المعاصرة، ووظفها أمثل توظيف في سبيل تحقيق ذلك التعميم أو "العولمة" للقيم الثقافية الغربية. فالمؤسسات الإعلامية الضاربة تكفلت بتخطيم الحدود القومية والحوازر والسياسات الثقافية الحمائية، لكي تكتسح المجال العالمي بالصوت والصورة وتوحد الرموز والأذواق والمعايير والقيم.² ويشهد واقع اليوم على طابع الاستلاب للنظام العالمي الجديد.

الانفتاح اللغوي أو الثقافي يعني التفاعل على أساس الاحترام، والمحافظة على التنوع اللغوي أو الثقافي في كل زمان ومكان. ويعني استغلال جميع الفرص التي تتيحها العولمة من أجل تجديد الثقافات بجعلها حية، ومעطاءة تبرز الخصوصيات بشكل تفاعلي، لا يلغي الآخر في ثقافته. خلافاً لما تريده العولمة

ولا نرى إمكانية فهم ظاهرة العولمة بمعزل عن فهم جميع التحولات الفكرية والتقنية في التاريخ الحديث والمعاصر. إن أي قراءة متعمقة لمضمون الظاهرة أو رسم لتوجهاتها لا بد أن لا يغفل التطور الاقتصادي الذي ساهم في إبراز الظاهرة على ما هي عليه الآن. ولا يلغي مساهمة التطورات العلمية والتقنية في بلورة هذه الظاهرة، ولا يبعد الإيديولوجية التي فرضت النموذج العالمي وأرادت إن تمكن له بمختلف الوسائل المتاحة. كما أن أي دراسة للعولمة تتطلب أو تقتضي التعرض لنشأتها ومكوناتها وحركتها وأبعادها المتجلية على كافة الأصعدة. والكشف عن أسسها يقتضي معرفة المرتكزات الفكرية التي تقوم عليها والآليات التي تستخدمها في حركتها.

وللعولمة تاريخ محكوم بتحويلات عميقة عرفتها الرأسمالية في تطورها بما في ذلك الخطابات الفلسفية والنقدية التي ظهرت في فترات متباينة. لقد وضع أوغست كونت³ أوراق فلسفة النموذج الوضعي في المعرفة من خلال الفصل بين الشعوب البدائية التي

¹ - باسم علي خريسان، "العولمة والتحدي الثقافي"، ص: 142.

² - عبد الله بلقزيز "الثقافة العربية أمام تحدي البقاء" مجلة شؤون عربية العدد 79، عام 1994.

³ - أوغست كونت: 1798-1857 ينسب إليه مذهب قانون الحالات الثلاث، ويقول إن العقل مر بحالات ثلاث لاهوتية و ميتافيزيقية و واقعية. وتعتبر الحالات الثلاثة التي جاءت بها فلسفة كونت مرتبطة مع بعضها وكل حالة تقود إلى الأخرى وآخر هذه الحالات هي الحالة الوضعية.

تعيش المرحلة الميتافيزيقية والشعوب العقلانية، التي يفسر فيها العقل الأشياء تفسيرا
وضعيا¹

ودافع لفي بريل² عن العولمة القسرية من خلال كتابه: "العقلية البدائية" والقائل
"إن هناك طبيعة إنسانية فردية واجتماعية هي واحدة في كل زمان ومكان"³. وعلى الرغم
من إن فلسفة الأنوار دافعت عن كونية الإنسان إلا إن هيجل⁴ وضع التاريخ بيد
البرجوازية التي تنهيه بفضل دور الدولة التي بمقتضاها يتحقق الانتصار النهائي في
التاريخ⁵.

وسار الغرب وفق الشعر الدارويني⁶. القائل : إن البقاء للأقوى، كما برزت على
السطح فلسفة نيتشه⁷ "إرادة القوة" لتبرر سيطرة الاقوياء على الضعفاء.

¹ Dominique Le court, la philosophie des sciences 1er édition, presses universitaires de
France, Paris 2001 P : 18

² - ليفي بريل: 1897-1939م من أنصار المذهب الاجتماعي.

³ - يوسف كرم "تاريخ الفلسفة الحديثة"، دار القلم بيروت، لبنان، ص: 435

⁴ - هيجل : فيلسوف الماني 1770م-1831م تأثر بأعمال سبينوزا، كانط، روسو ، والثورة الفرنسية.

⁵ - يوسف كرم "تاريخ الفلسفة الحديثة" ص: 282

⁶ - نسبة إلى داروين 1709-1772م عالم طبيعي وضع نظرية في تطور الأحياء من أهم كتبه اصل الأنواع
، تسلسل الإنسان والانتخاب الطبيعي. اخذ على ان نظريته مادية الحادية.

⁷ - نيتشه : فيلسوف ألماني، عالم نفس، ولد في 15 أكتوبر 1844 ، عاش حياته ناقدا حادا للمبادئ
الاخلاقية والحداثة.

من أهم آثاره :

- أصل المأساة "1872م". وهو دراسة للثقافة اليونانية من خلال القصص والروايات أو "الدراما".
- هكذا تكلم زرا دشت "1883م". وهذا الكتاب هو أهم مؤلفاته، ألف في صيغة أدبية ، ووضع فيه خلاصة افكاره الفلسفية المتمثلة في نقد الدين والقيم والأخلاق، ومحاربة فكرة الوطنية والقومية والأمة وكل شيء موروث، والدعوة إلى الصراع ضد الدين والقيم، والعمل على تحقيق الإنسان المجاوز للحد من خلال التطور الذاتي، وقد جعل بطل هذا المؤلف ينطق بكل ما يريد نيتشه، فكان نيتشه يلقي بآرائه الفلسفية من خلال "زرا دشت" هذا.

- فيما وراء الخير والشر "1886م". وفيه يقرر أن القوة والجبروت هو الخير، وأن الضعف والتواضع شر .

- في أصل الأخلاق "1887م". تكلم فيه نيتشه عن الفضائل والقيم، وقرر أنها تزيف للواقع. إرادة القوة "1901م" نشر بعد هلاك نيتشه.

أما عجلة الاقتصاد فقد حركتها مدارس الفكر الرأسمالي بدءاً بالمدرسة التجارية التي وجهت الحياة الاقتصادية نحو التجارة ويمثل فكرها كتاب الأمير ميكافلي¹، ثم المدرسة الطبيعية التي قامت على فكرة القانون الطبيعي والمذهب الفردي ومن روادها جون لوك² ودافيد هيوم³، و فولتير⁴، وجان جاك روسو⁵. ثم المدرسة الكلاسيكية ممثلة في آدم سميث⁶، دافيد ريكاردو، جون استوارت مل. ثم المدرسة الكنتية التي بدأت على يد العالم الإنجليزي جون ماينرد كينز⁷، ثم المدرسة النقدية التي تزعمها ميلتون فريدمان⁸ الذي انتقد كينز في بعض عناصر نظريته. مع عدم إغفال المدرسة الاشتراكية التي جاءت بمبادئ ومقومات خاصة تختلف تماماً عما جاء به الفكر الرأسمالي ويعتبر رائدها كارل ماركس من أكبر الاقتصاديين الذين كان لهم أكبر الأثر في الفكر الاقتصادي.

أما الظاهرة الاستعمارية فهي فقد تماشت مع فلسفة هيجل التي تميز بين السيد الغربي العقلاني الحر على الآخر الشرقي الغارق في الوهم والتعصب وتبرر هيمنة الأول على الثاني.

و خلاصة الفكر الذي تبنته العولمة تبلورت إيديولوجيا مع صامويل هنتجتون بتكريسه لفكرة نهاية التاريخ وانتصار الحضارة الغربية. و فرانسيس فوكوياما الذي

1 - نيكولا ميكافيلي : فيلسوف ايطالي (1469-1527) يعرف بأنه المؤسس للتخطيط السياسي الواقعي،

من أشهر كتبه كتاب الأمير الذي جمع فيه أهم التعليمات التي يستفيد منها الحكام والأمراء

2 - جون لوك (1632 - 1704) (John Locke) هو فيلسوف تجريبي و مفكر سياسي إنجليزي

3 - دافيد هيوم فيلسوف اسكتلندي (1611 - 1776)

4 - فولتير (1694-1778) هو اديب وفيلسوف فرنسي اسمه الحقيقي :فرانسوا- ماري ارويه

5 - جان جاك روسو (1712-1788) فيلسوف ومحلل سياسي سويسري اثرت فلسفته السياسية في

الثورة الفرنسية

6 - آدم سميث باحث ومفكر اقتصادي له نظرية اقتصادية تحمل اسمه في المجال الاقتصادي ، ولد باسكتلندا من أهم مؤلفاته " بحث في طبيعة ثروة الأمم وأسبابها" وكانت أفكاره محطة بالغة الأهمية في نشوء مذهب الليبرالية الاقتصادية.

7 - جون مينارد كينز (1883-1946) John Maynard Keynes ، اقتصادي انجليزي، مؤسس النظرية الكينزية من خلال كتابه "النظرية العامة في التشغيل والفائدة والنقود)

8 - ميلتون فريدمان (1912-2006) Milton Friedman اقتصادي امريكي مشهور بتأييده لاقتصاد السوق حاز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 1976.

انتهى إلى إن البشرية قد وقع اختيارها على النظام الرأسمالي مسلكا وحيدا في سبيل التقدم والرفي بعد ما انتصرت الديمقراطية الغربية، و انتصر الغرب معها¹.

ولعل التطورات التقنية الحاصلة على مستوى الاتصال و المعلومات ، تساعد على تقارب الثقافات مع بعضها، والتفاعل بين اللغات وهو ما يعمق الوعي الحضاري عند كل الشعوب ويجعلها أكثر قربا من بعضها . لكن من سلبيات هذا الانفتاح الثقافي أن يتحول إلى هيمنة ثقافة على أخرى بإلغائها، أو إذابة خصوصياتها، ومن هنا اعتبرت مشكلة الهوية من اعقد المشاكل في العصر الحديث،² وهذا ما ينطبق على محاولة الولايات المتحدة الأمريكية استغلال تفوقها في مختلف مجالات الحياة، وجعل العولمة وسيلة للقضاء على التنوع الثقافي، بفضل التصميم الكبير للنموذج المعادي للتعددية الثقافية، والمغلي للتمايز والشخصية المستقلة، والذي يحول الإنسان إلى مجرد مستهلك مستلم ومشاهد متلق يتم ترويضه على النمط الواحد.

وفي هذا السياق يقول عبد الاله بلقزيز: " ما يؤاخذ على العولمة تنميطها للأخلاق وقضاؤها على الثقافات لصالح تكوين حضارة مادية تركز هيمنة وسيطرة الأطراف القوية وهو ما يستثير رد فعل قوي من جانب الهويات الوطنية."³

ان الهيمنة المقصودة هنا هي هيمنة شاملة تمتد من الاقتصاد الى كل مجالات الحياة .نتساءل في كثير من الحالات هل من سبيل إلى ثقافة أخرى غير ثقافة الهيمنة ؟ وهل يمكن الحديث عن حوار الحضارات ؟ وهل التعايش السلمي بين المجتمعات أمر ممكن ؟

في اعتقادنا انه لا بديل للصراع الحضاري الا الحوار. ان جوهر الحوار هو التبادل السلمي للأفكار والآراء والمعلومات. و سواء كان بواسطة الكلام أو غير الكلام، ويتجلى في اشكال مختلفة منها المفاوضات و المناقشات والمناظرات و المحادثات.

¹ فرانسيس فوكوياما نهاية التاريخ ترجمة حسين الشيخ ، دار العلوم العربية ، بيروت لبنان، الطبعة الاولى 1993 ص:9

²Ghassan Salamé , (Christophe Bertram , Nicole gnesotto , Andrew Arato) Agir, entre solidarités et conflits. Colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international. 9- 03- 2006 CERI, Paris.

³ - عبد الاله بلقزيز، "الثقافة العربية امام تحدي البقاء"، مجلة شؤون عربية العدد 79 ، سنة 1994، ص:86.

والأصل فيه انه تبادل ثنائي الاتجاه بين طرفين- او أكثر- يتناوب كلاهما دور المرسل والمستقبل بأقدار متناسبة او شبه متناسبة و لكن ليست متساوية بالضرورة . و الحوار، بمفهومه الموضح انفا، يتنافى مع الصدام ويتناقض معه الا انه لا ينفي الصراع و أن كان يلطفه احيانا.

ومن بين الأطراف المحتملة للحوار : الحضارات والتي يُعرف الحوار بينها بالحوار بين الحضارات او حوار الحضارات والمقصود بذلك هو ذلك الحوار الذي يتم بين الحضارات¹ بتوسط المنتمين اليها سواء على المستوى الفردي او الجماعي، لهدف موضوعي.

ومن الواضح أن الحوار بين الحضارات تنامي حجما و نوعا عبر التاريخ، ولعله الآن افضل مما كان عليه في أي وقت مضى، وقد سجل لنا التاريخ بعض التفاعلات الحوارية بما فيها الحوار الكلامي بين عناصر من الحضارات السابقة وخاصة ما تقارب منها زمانيا ومكانيا. واستطاعت الدراسات التاريخية أن تتعقب بعض العناصر او المكونات التي انتقلت من حضارة الى اخرى وان تحلل بعض الحضارات الى جذورها الممتدة داخل حضارات اخرى.و بالتأكيد فان بيان ما كان بين الحضارات من حوار لا يعني نفي او التقليل من ما كان بينها من صراع و صدام وصل أحيانا درجة الاقتتال المسلح

و تكمن اهمية الحوار في الخروج من دائرتين كبيرتين تبتلى بها الحضارات وهما: دائرة السلبية والانعزال: بمعنى كف او امتناع الحضارات او بعضها عن إقامة اي علاقات مع بعضها البعض.

دائرة التصارع : بمعنى انتهاج الحضارات او بعضها علاقات تقوم على الصراع والتصادم والاقتتال .

اليوم هناك عوامل تجعل الحوار بين الحضارات أكثر أهمية وضرورة للجنس البشري أكثر من أي وقت مضى، ومن هذه العوامل :

1- التطورات التكنولوجية الهائلة التي شهدتها العالم مؤخرا أدت إلى تقليل المسافات بين الأفراد والمجتمعات بشكل ادى الى تسهيل وزيادة حجم الانتقال والتداخل (هجرة

¹. إن نسب الحوار الى الحضارات إنما هو من قبيل المجاز اللغوي لان الحضارات لا تتحاور او تتصادم بذاتها و إنما تتحاور او تتصادم من خلال اتباعها .

وعملا وسياحة) بين مجموعات البشرية وزيادة سرعة وحجم انتقال المعلومات والأخبار بينها

2- امتلاك بعض الحضارات أو بعض عناصرها اليوم قدرات عالية من الأسلحة التدميرية يمكن إن تستخدم في تدمير قرى ومدن بأكملها فلا بد للحوار قصد تفادي إساءة استخدام الفتوحات العلمية الأخيرة في مجالات من مثل الهندسة الوراثية والذكاء الاصطناعي.

3- تفادي زوال بعض اللغات والقيم المثالية التي تشكل الميراث المشترك للشعوب . وتتمثل أهمية الحوار بين الحضارات في زمن العولمة أن هذا الحوار وان كان من غير المرجح أن يتمكن من أن يوقف تماما زوال اللغات والثقافات الا أنه بالتأكيد يمكن أن يساهم في التقليل من هذا الزوال على مجمل الحضارة البشرية .

مقومات ومتطلبات حوار الحضارات:

لكي نضمن الحوار أولا ثم استمراريته ثانيا وفعاليته ثالثا لابد من الأخذ بالمقومات والمتطلبات الضرورية لحوار الحضارات وهي:

1. الإيمان بالحوار: لابد ان يتوفر الإيمان بالحوار كنهج أساسي سليم وفعال للعلاقة مع الآخر و الحوار اساس العلاقات الانسانية و الاصل فيها. و الإيمان بالحوار عنصر اساسي في تأمين الرغبة في الحوار و التي لابد منها لقيام الحوار و تحديد نوعيته. فالحوار القائم على ايمان اطرافه بالحوار يعد حوارا طوعيا تقبل عليه اطرافه بمحض إراداتها مما يجعلها حوارا ايجابيا و فاعلا. خلافا للحوار الذي تضطر اليه اطرافه او بعض اطرافه فيظل في الغالب حوارا متعثرا غير مثمر.

2. إمكانية التواصل بين المجموعات الحضارية: إن الإيمان بالحوار لا يترجم الى واقع عملي ما لم تتوفر فرص و إمكانيات التواصل بين المجموعات البشرية¹على الرغم من وجود عوائق في هذا الميدان.

3. الاتفاق على مرجعية الحوار والمتمثلة في العقل أو المنطق البشري: لا يستقيم أي حوار بين طرفين أو أكثر لا يستند إلى مرجعية معينة يكفل الاستناد إلى مسلماتها حسم الخلافات و ضبط الحوار وتوجيه الوجهة الصحيحة . ويفترض أن لا تثور مسألة

¹ العوائق المحتملة امام التواصل بين المجموعات الحضارية تكون اما عوائق طبيعية كبعد المسافة او عوائق اجتماعية كالقوانين التي تمنع التواصل او تحد منه. وصحيح أن التطور التقني قد قلل كثيرا من اثر العوائق الطبيعية و حد من فعالية العوائق الاجتماعية

المرجعية داخل حضارة او ثقافة او دين معين . أما إذا تباينت المرجعيات الأساسية في الحوار بين الحضارات يغدو لازماً اتفاق هذه الأطراف على مرجعية معينة تتبادل الآراء في ضوءها وتحتكم إليها في حسم الخلافات . وهي مرجعية العقل أو المنطق البشري وذلك باعتبار أن العقل عدل قسمة بين البشر¹.

4. توافر المصادقية العملية : ونقصد بالمصادقية العملية التزام اطراف الحوار عملياً بقبول نتائج الحوار والبناء على ما قد يتكشف لهم من حقائق او حق ، لهم او عليهم ، اثناء الحوار و التنفيذ العملي لما يتم الاتفاق عليه بين اطراف الحوار ..

5. عدم تهديد الحوار الحضاري للخصوصيات. ان الاعتراف بخصوصيات الآخر الحضاري ضروري لاستقامة الحوار وتعظيم نتائجه العملية.

إن استخدام اللغة العربية وتوظيفها في مختلف المجالات ونواحي الحياة المعقدة، ساعد فضلاً على توصيل المعلومات وتسهيل العديد من الخدمات لدى المتعاملين بها، على ترسيخ مبادئ وقيم إيجابية لديهم، ومن أغلاها تلك التي تقوم على أساس المواطنة. وما أحوجنا في زمن العولمة وأمام الزخم الفضائي من خلال السماوات المفتوحة أن نستفيد من التوظيف الجيد والشامل للغة العربية وتسخيرها لخدمة القيم الوطنية والخصوصيات الثقافية والتاريخية دون التعارض مع القيم الانسانية النبيلة.

وتواجه البلدان العربية في الآونة الأخيرة تحديات قوية فرضتها ظروف الانفتاح الثقافي والفضائي على منظوماتها التربوية والتعليمية، ولذلك كان لزاماً على التربويين أن يعيدوا النظر في طرق تربية النشء وتعليمه القيم الوطنية وتوجيهه نحو الانفتاح الذي لا يتعارض أو يتصادم مع المواطنة الحقة، على ضوء معطيات اللغة العربية وقوتها في التأثير حتى لا يتخبط فيذهل ثم ينهار أمام هذا التراكم المعرفي والتيارات المغرضة التي قد تضعف وطنيته بل وتعمل على إلغاء هويته.

فالمعضلة الأساسية التي تقف خلفها الجهود المكثفة والتحديات الكبيرة هي تربية المواطن ليكون لبنة صالحة من لبنات المجتمع، عارفاً حدود مسؤولياته نحو وطنه، ملماً بكافة سبل تنميته بتوظيف أحسن واستثمار انجح للغة العربية قصد الوصول إلى المواطن الصالح الذي ننشده.

¹ مقولة تنسب الى الفيلسوف الفرنسي ديكارت

ان اللغة تمثل قلعة من قلاع الأمة، تحصن بها وجودها، ووسيلة تستمر بتواصلها بين الأجيال، وأداة المعرفة عند مثقفها، بما فيها من اسرار عظيمة في التعبير عن المعاني وسعة مساحتها التعبيرية وقدرتها الهائلة على توليد المعاني وعلى التوسع فيها، وتفوقها الفني الذي يوصلها الى درجة الاعجاز. وتحمل اللغة العربية أهمية قصوى نظراً لتنوع العناصر في تكوينها، النفسي، والاجتماعي، والتاريخي، فهي أداة التعبير الفكري على مستوى الوعي والإدراك والإبداع، وهي تتشعب إلى أشكال لسانية متعددة تهدف لتحقيق التواصل بين الأفراد، وإلى صياغة الإنتاج العلمي، والثقافي، والفني.

ومن هنا كثر الذين يكيّدون لهذه اللغة، ويضعون العراقيل في وجه تقدمها، ويعارضون التعليم بها، أو رفع رايها، ويتمونها بالضعف، وينعتونها بأسوأ النعوت، وينبذونها بأشنع الألقاب مستهدفين تعطيل نمط التفكير بها.

لكن ألا يعقل هؤلاء أن اللغة العربية هي لغة العقيدة والقيم والثقافة والحضارة والعلم والتعليم والعبادة كما قال تعالى في القرآن الكريم و((إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)) [الزخرف 3].

وقوله تعالى ((نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين)) [الشعراء 193-195] وقد نزل بهذا اللسان بغية أن نغلقه و نفهمه ونتدبره ونعمل به: ((إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)) [يوسف 2] .

الم يكتب عمر رضي الله إلى أبي موسى الأشعري قائلاً أن "خذ الناس بالعربية فإنها تزيد في العقل وتثبت المروءة". وكتب في الآفاق ألا يقرأ القرآن إلا صاحب عربية. وكان يقول((تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغي ومساوئ تتقى))

ألم يؤكد ابن باديس: أن اللغة العربية هي الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد، وحاضرها الأغمر، ومستقبلها السعيد، وهي لغة الديانة، والجنسية والقومية، ولغة الوطنية المغروسة.

ألم يقل عنها قال الشاعر:

لغةٌ إذا وقَعَتْ على أسماعنا كانتْ لنا برداً على الأكبادِ
سَتَظَلُّ رابطةٌ تُؤَلَّفُ بيننا فهي الرجاءُ لناطِقٌ بالضَّادِ

الم تكن اللغة العربية في القرون الوسطى لغة عالمية بكل ما يحمل هذا المصطلح من دلالات، وأنها كانت سيدة اللغات بجدارة ودون منازع.

أليست المحصلة من كل ما قلناه أن اللغة العربية ليست قاصرة ولا عاجزة، وأنها يمكن أن تستعيد مجدها وعظمتها، وتحتل مركزها القيادي بين لغات العالم إذا أتيت لها فرص الدعم والرعاية، ويمكن أن تلعب دوراً مركزياً في إنتاج الوعي القومي، وكما هي أداة تعبير عن الواقع العربي، وهي وسيلة للتنمية الثقافية، ومكافحة الأمية وإشاعة الأفكار العقلانية، واستحضار التاريخ، وتنوير المجتمع.

اللغة العربية هي لغة القرآن.. ومنه اخذت قداستها التي دخلت في شغاف القلوب والوجدان والعقول والضمائر والنفوس، فشكّلت بناها الرئيسة ورسمت كلّ خطوة يخطوها الإنسان.

وكانت اللغة العربيّة اللسان المبين الذي رسم الأقدار ووجّه الخلق، وخاطب العرب وخصّهم باختياره من دون العالمين: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن الفحشاء المنكر" و"إنا أنزلناه قرآناً عربياً.

إنّها دلائل عميقة على سرّ قوّة العربيّة، والتي من أجلها احبها الطلبة والباحثون ولأنّها لم تعد حروفاً وكلمات فحسب.. بل أصبحت شخصيّة ذاتيّة في بنية الإنسان الذهنيّة والنفسيّة والمادّيّة.. وأصبح التزامها أمراً مقدساً.. يتعبّد بها الإنسان أثناء تلاوته القرآن.. وينبغي أن يتعلمها ويتقن قواعدها ويعمل بأصولها.. ويستثمر فيها العربي استثماراً يستقوي بها امام الآخرين .